

- على قلوبهم - ليسوا جميعاً بفاهمين حقيقة دعوتهم لأن طباعهم لا تنفع لها ، وإحساسهم لا يستوعبها

وإني لأخشى أن أقذف بها كلمة مزعجة مؤذية فأقول لهم : إن الظواهر حتى الآن تكاد تجزم بأن طبيعة هذا الشعب ليست على استعداد للتجاوب معهم ، وأن للشذوذ وحده هو الذى أطلعهم بين ظهرانیه ، وأن المشكلة ليست مشكلة الفهم والتفهم ، ولكنها مشكلة الطبيعة التى لا تتسع لثل ما فى نفوسهم من أحاسيس . وعليهم إذن أن يشربوا من النهر ، أو أن ينزروا عن المجانين للعقلاء !

ولها لصيغة مزعجة ، ودعوى يتمنى مدعيها من صميم نفسه ألا يكون محققاً فيها ، ولكن الدلائل جميعها - مع الأسف - تدل على صدقها الأليم

والخطب فى هذه المألة متفاوت الدرجات ، فقد يكون فى الأدب أخف - إلى حد ما - لظهور طبقة قايمة من الشباب تبشر بالخير الضئيل . ولكنه فادح فادح فى الموسيقى والفنائه . هذه الموسيقى التى لا نسمع غيرها ، وذلك للفنائه الذى ليس لدينا سواء فقد مضت القرون تلو القرون ، وليس لنا موسيقى واحد ،

ولا منن واحد . وكان « سيد درويش » فائتة شاذة ، وهو مع هذا لم يرتفع إلى المستوى المالى ، ولكنه كان « إنساناً » فى فنه ، يحمل طبابع الآدميين ، وكان هذا كسباً ، لأن « الآدمية » وحدها ، لا الآدمية الممتازة هى التى نفتقدها فى موسيقانا وغنائنا ، فلا نثر على ظل لها فى الجميع ، وما تزال نسمع ألحاناً وأنغاماً ، هى رجوع للتأوهات الحيوانية المريضة وصدى الميوعة المسترخية المثوقة ، دون أن يخفى ملحن أو منن مرة واحدة فيسمعنا صوت الإنسان السليم !

والقارى يرى من هذه الكلمات ، أن قائلها « لم يشرب من النهر » ولا شك . وإلا فهل يصدق أحد والأغاني ترن فى الآذان ليل نهار ، وتحملها أجنحة الأثير بالمشى والأبكار ، أن ليس فى مصر منن واحد ولا مغنية منذ أجيال ، وليس فيها ملحن واحد منذ قرون ، وليس فيها موسيقى واحد فى تاريخها الطويل ؟ .

أهذا كلام ؟ أليس هو الجنون بعينه ، أو العقل الذى هو عين الجنون ؟

الذوق الفنى فى مصر

وأسطورة نهر الجتون

للأستاذ سيد قطب

—*—*—

أسطورة « نهر الجتون » معروفة ، ولكن لا ضرر من التذكير بها فى هذا المقام ؛ فهى تتلخص فى أن ملكاً رأى فى نومه أن للنهر الجارى بجوار قصره يصاب كل من شرب منه بالجنون . وأصبح فوجد أفراد للشعب كله - والملكة معهم - قد شربوا من النهر وجنوا ، فحزن وقلق على شعبه وعلى رفيقة حياته ، ولم يكن هناك أحد لم يشرب إلا الملك والوزير وبينما كان الملك ووزيره فى شغل شاغل بالطب لهذه الكارثة كانت الملكة حزينة قلقة على الملك الذى جن - فى رأيا ورأى للشعب - لأنه لم يشرب هو ولا وزيره ... وأخيراً ، شرب الملك وشرب الوزير !!!

هذه الأسطورة تتكرر كل يوم فى مصر - فى عالم الفنون - بين العقلاء المجانين ، وهم قلة قليلة ، والمجانين العقلاء وهم كثرة كثيرة !!

فى مصر مدرسة فنية عرفت باسم « المدرسة الحديثة » ، وهى تجاهد منذ ثلاثين سنة لرفع الذوق الفنى ، بل تخلق الذوق للفنى . ولكن الذين اتبعوها لا يزالون فئة قليلة ، والذين فهموها فئة أقل ، والذين تجاوبوا معها بعد فهمها فئة أندر . وهؤلاء هم الذين لم يشربوا من النهر ، ولا تزال آراؤهم فى الحياة والفن تثير المعجب للعاجب بين الشارحين !

وهذه المدرسة يبدو أن كل همها موجه لتصحيح مقاييس الأدب ، ولكنها فى الواقع تجاهد فى تصحيح مقاييس الإحساس بالحياة جلتها وتفصيلها ، وتقويم الأذواق فى أصولها وفروعها ، فكل ما هو مادة حياة ومادة شعور ينال عناية هذه المدرسة .

ومن ثم كان للموسيقى والفنائه نصيب وافر من جهادها ولقد أغضب زعماء هذه المدرسة وأملأ قلوبهم ظلاماً وبأساً إذا قلت لهم : إنهم فشلوا أشنع الفشل فى رسالتهم ، وأن أتباعهم

في ارتفاعه أو انخفاضه عن نفس إنسانية على الإطلاق ...
أما وأنت تدعى هذه الدعوى غير المعقولة ، فلا سمح
ولا تصديق عليك أن تشرب من النهر القدي شرب منه
الجميع ...

هذه كارثة . كارثة أن نعيش أمة كاملة بلا موسيقى
ولا غناء وأن يكون غذاؤها الروحي هو هذا للترنيم المرض

الزائف . وأشد من هذه
للكارثة هو لا أن تستمخ
هي هذا للغذاء .

ولست أدري كيف يكون
للعلاج ، والذين يقولون للعلاج
في غالب الأحيان هم أنفسهم
نحورون ، شاربون من النهر ،
وإن نموا على الشارين !

موسيقى جديدة وتلحين
جديد ومطربون ومطربات جدد ،
وأذواق للسامعين غير هذه
الأذواق . أذواق لا تستمخ
أية قطعة أو لحن مما تتردد في
مصر منذ مئات السنين . كل
هذا وفي آن واحد هو
ما يحتاج إليه لتجنب في عداد
الآدميين

والمجززة وحدها هي التي
تستطيع أن تفعل ذلك
لا الجهد البشري ولا المدرسة
الحديثة ، ولا عشرات الكتب ،

في مصر مطربون ومطربات ، وفي مصر ملحنون
وموسيقيون ، والشعب كله يردد أغانيهم وألحانهم ، ويتهاقت
على حفلاتهم ورواياتهم ، ويدي أكفه من التصفيق إعجاباً بهم ،
فهو يصدق أحد أن مصر - فيما عدا أغاني سيد درويش لم تطعم
الموسيقى ، ولم تذوق للفناء ، ولم يتردد في جوها صدى واحد
فيه مسحة الآدمية !

هذه قولة غليظة - لم تشرب
من النهر - ولكنها كانت خليقة
أن تنبض بها كل فطرة ، وأن
يردها كل لسان ، لولا أن
الجميع قد شربوا مع الأسف
شربوا حتى فقدوا وعيهم فهم
نحورون لا يفقهون من هذه
الألحان الربضة ولن يصدقوا
من يقول لهم : إنهم نحورون ،
لأن الأغلبية لا بد أن تكون
هي الواعية في جميع المصورات

وبعد فما جدوى هذه
الكلمات ؟
لقد كان يرجى لها بعض
الفائدة ، لو سرت مع الشارين
الخمورين إلى منتصف الطريق ،
وكتمت عنهم نصف الحقيقة ،
وارتضيت أنصاف الحلول .
لو قلت لهم : إن هناك أغنيات
وألحاناً سليمة وأخرى غيرها

مرضية ، وأنت تعجب من فلان أو فلانة بكذا وكذا ، وتكرر
عليهما كيت وكيت ...

أما وأنت تجبه هذه الملايين - على اختلاف ذوقها اللغني -
بأن ما يستحسنونه سواء من حيث أنه لا ينسب إلى فن الموسيقى
وفن الفناء ، وأن ما يسمعون إنما يتفاضل في دائرة بعيدة عن
دائرة للفنون الآدمية ، فيرتفع أو ينحط ، ولكنه لا يبر

تقويم هذا العام لهؤسنار عباس محمود العقاد

تقويمُ هذا العام من لحظاته الأولى لديك
قوى ارفيه وارفى عنه الغطاء براحتيك
من يوم مطلعته إلى رُجعه ، موقوفٌ عليك

وإذا انتهت أيامه ولكل عام منتهاه
فعليك أنت وداعه وترحيبين بما نلاه
ويُحني إذا دار المدى ورعيتُ وحدى ملتقاه

هي قبلةٌ ضمتُ هُمرى عامين فاتصلا اتصالا
ومنى الخواطر في غدٍ عام كسابقه مالا
لا نعجلن به فما أقمى الحياة على العجالي

لا . لا . فهذا يومنا وغداً ، وبعد غد ، خفاء
أنا مغمضٌ عيني ومسته مع إلي حادي الرجاء
فإذا سمعتُ حذاءه فدعني يمضي حيث شاء
هباس محمود العقاد

ولا أولف المقالات في الصحف

وتسألني : وفيه إذن تكتب هذه الكلمة ، وتشغل بها فراغاً
من صفحات هذه المجلة ، وفراغاً من وقت للقراء ؟ فأجيبك :
إنها صيحة من لم يشرب من النهر ، أو هي صيحة الجنون
في عرف المجانين !

سيد قطب

(حلوان)